▼
الإمام البخاري و صحيحه الجامع المختصر
تأليف: حسين الهرساوي
الناشر: دليل‌ما
المطبعة: نگارش
الطبعة: الاولى
سنة النشر: ١٤٢٥هـ.ق
عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة
شابک (ردمک): ٧ـ٠٧٨ـ٣٩٧ـ٩٦٤ ISBN
العنوان: ايران، قم، شارع معلم، زقاق ٢٩، رقم ٤٤٨
هاتف وفكس: ٧٧٣٣٤١٣، ٧٧٤٤٩٨٨ (٩٨٢٥١)
صندوق البريد: ١١٥٣ـ٣٧١٣٥
انتشارات دليل‌ما

جميع حقوق الطبع محفوظة
قامت بطباعته و إخراجه **دارالعلوم الثقافية**
للبحوث و الدّراسات الإسلامية
ايران ـ قم ـ تلفون ٦٦١٤٦٩٥ ـ ٠٢٥١

هرساوی، حسین، شارح
الامام البخاري و صحيحه الجامع المختصر دراسة فی حياته و اتجاهه الفكری / تأليف حسين الهرساوی. ـ قم: دليل‌ما، ١٣٨٣.
٥٩٦ ص.
ISBN 964- 397 - 078 - 7
فهرستنويسی بر اساس اطلاعات فيپا.
عربی.
١. بخاری، محمدبن اسماعيل، ١٩٤ـ٢٥٦ ق. ـ ـ الجامع الصحيح ـ ـ نقد و تفسير. ٢. بخاری، محمد بن اسماعيل، ١٩٤ـ٢٥٦ ق ـ ـ نقد و تفسير. ٣. احاديث اهل سنت ـ ـ قرن ٣ ق. الف. بخاری، محمدبن اسماعيل، ١٩٤ـ٢٥٦ ق. ـ ـ الجامع الصحيح. شرح. ب. عنوان. ج. عنوان: الجامع الصحيح. شرح.
BP ١١٩/ ٢٠٢١٩٤ ج ٣ ب ٢٩٧/ ٢١١
كتابخانه ملی ايران ٨٣ـ٣٢٧٩٥م

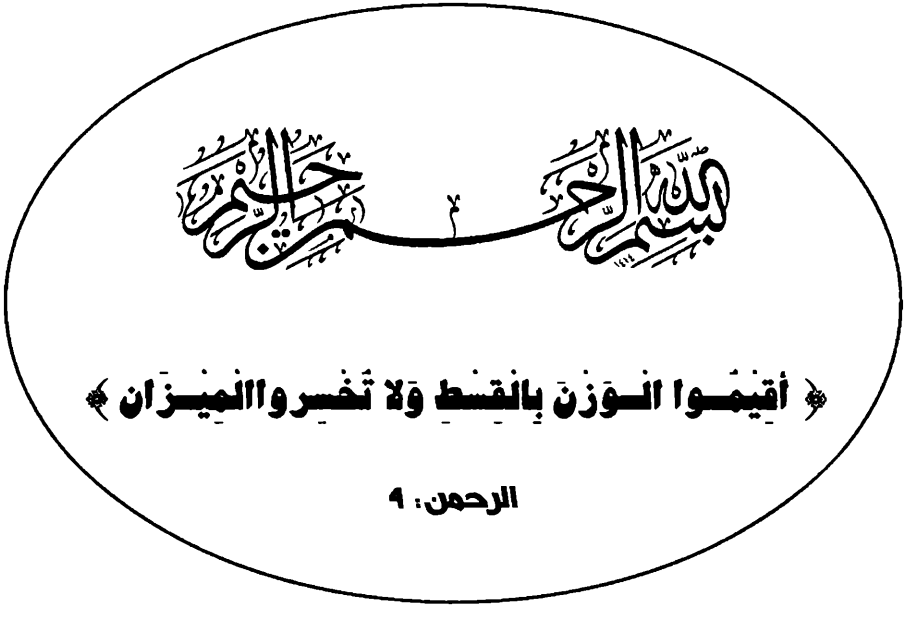
بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ أقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ﴾
الرحمن: ٩

المقدّمة

يعدّ الإطلاع علىٰ فقه الحديث وحوادث التاريخ ومساره وتحليل وقائعه وتفهم الظروف العامّة في تبلور الأفكار والعقائد المذهبية في طليعة الأسباب والعوامل الأساسية في عملية الإدراك الصحيح والإستنتاج والإستنباط.

وليس اعتباطاً أن يتفوق الفقهاء والعلماء من لديهم حصيلة كافية من الوعي التاريخي والعقيدي، فهناك مايشبه العلاقة الجدلية بين الوعي التاريخى وعملية الإستنباط في الأحكام الشرعية.

وفي مقابل ذلك نجد حالة من الجمود علىٰ الألفاظ والقواعد الأُصولية لدىٰ البعض الذين سرعان ما يكتشفون اخطاءهم ويظهرون الندم علىٰ مواقف لهم سابقة ومن هنا فانه من الضروري ومن أجل فهم واقعي للكتاب والسنَّة والىٰ جانب ادلّة الإستنباط أن يتوفر المرء على فهم تاريخي ووعي بالظروف الاجتماعية السائدة آنذاك أي في زمان تلقي السنَّة عن النبي والأئمة عليهم السلام.

وما يلزمنا ذكره في هذه المقدمة والتأكيد عليه هو أهمية التحولات والتغيرّات الاجتماعية والسياسية في الكشف عن الغموض الذي رافق ظهور بعض الأفكار والتيارات الفكرية.

انتهج علماء الدين ومنذ زمن طويل طريقاً لحراسة الدين وصيانة العقيدة، وهو الجدل بالتي أحسن وجعلوا من ذلك فخراً.

ولا ريب في أن الشارع الإسلامي يمجّد هذا الأسلوب في الدعوة إلىٰ الهدىٰ والنور، وهذه آيات القرآن تشهد بذلك..

فقد ورد في آخر سورة النحل الجدل بين النصارى واليهود حول يوم السبت: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿أُدْعُ إِلىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١].

كما ورد في سورة العنكبوت قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[٢].

علىٰ انّ المسار العقيدي بعد غياب النّبي ﷺ قد اجتاز منعطفات خطيرة، ولذا ينبغي التدقيق في دلالة الآية.

فقد ظهرت المذاهب الجديدة، وتمحورت حول آراء بعض أصحاب الفكر وتكاثرت وأثرت في اختلاف الرواية وتلقىٰ الناس وجهات نظر مختلفة أصبح لها ولأصحابها شأن.

من هنا لايمكن تطبيق أسلوب الجدل «بالتي هي أحسن» مع أية فكرة يبشر بها فرد من الناس. لأن ذلك سيؤدي إلىٰ الاعتراف به، ومن ثم منحه شكلاً من الشرعية غير إننا عندما نلاحظ القرآن يوصي بالحوار مع الأديان اليهودية والنصرانية، فلأنها تستند إلىٰ كتب سماوية.

أما المذاهب والفرق فقد نشأ بعضها نتيجة أهواء وأغراض خاصة، ولذا فهي تفتقد المؤهلات التي ترشحها للدخول في اطار الآية.

صحيح أن الدعوة إلىٰ المعروف واجب عام، لكننا يجب ألاّ نغفل ان لكل موضوع خصائصه الذاتية.

---

١ ـ سورة النحل: ١٢٤ ـ ١٢٥.

٢ ـ العنكبوت: الآية ٤٦.

فكما أَن للطاعة مراتب ودرجات فأن في ارتكاب الخطأ والمعصية مستويات يتوجب الفرز بينها وعدم الخلط.

وأَساساً فأن أسلوب المواجهة مع الغاصب المستبد والعاصي لا يمكن أَن يكون في اطار الجدل بالتي هي أَحسن، وقد جاء في تعاليم الاسلام: «الغاصب يؤخذ بأشق الأَحوال».

علىٰ أَن هذا لا يبرر إهمال الظروف الإجتماعية والسياسية خاصّة لدىٰ انحسار النفوذ الاسلامي سياسياً علىٰ مستوىٰ الحكم أَو مستوىٰ انشداد المسلمين لدينهم هذا أَولاً.

وثانياً: إمكانية محاكمة الظالم والغاصب ومطالبته بالتعويض عن الخسائر ومن هنا فان المجادلة بالتي أَحسن كما تشير الآية الكريمة تنحصر فقط بأصحاب المذاهب الذين يستندون إلىٰ أَسس وأَصول ولديهم القابلية في عرض عقائدهم وبيان أَفكارهم.

ولنلقي نظرة الآن علىٰ فرق الإسلام ومذاهبه المتعددة فنرىٰ أَين تكمن الحقيقة وأَين تنزوي الأَباطيل وأَيّهم هدرت حقوقه، ومن الذي يدعي المظلومية ويطالب بحقوقه؟

في فترة الزمنية الخاصة بعد مقتل عثمان التي تسمى بعصر الفتنة[١] ظهر بنو أَمية الذين رفعوا قميص عثمان ليكون لهم ذريعة في صبّ حقدهم علىٰ أَمير المؤمنين علي عليه السلام فعانىٰ في سبيل ذلك ما عانىٰ ولا ننسىٰ ما أَصاب سبطا النبي وريحانتاه من الدنيا الحسن والحسين عليهما السلام من المصائب وهما سيّدا شباب أَهل الجنة، ثم سائر أَئمة أَهل البيت عليهم السلام، فكان التشرّد والحرمان نصيب كل من يناصرهم أَو يتعاطف معهم.

ومن يدقق في حياة الحكام الأُمويين والعباسيين يكتشف بشاعة الأَساليب التي انتهجها أُولئك من أَجل تعزيز سلطاتهم واستمرار عروشهم، وأَنهم لم يتركوا وسيلة لتحقيق أَهدافهم في ذلك.

وتعدّ مواجهة أَهل البيت والتصدّي لهم وقهرهم ومطاردتهم سمة عامة تسم كافة العهود والحكومات التي توالت علىٰ حكم الدولة الاسلامية.

فأُعتبر أَهل البيت لدىٰ الحكام جميعاً خطراً كبيراً يهدد وجودهم اللاشرعي، ولذا

---

١ ـ التاريخ الأوسط للبخاري ١: ١٩٥.

سعوا دائماً إلىٰ التخلص منهم بمختلف الأساليب.

فبدأت الإجراءات المعادية بعد غياب النبي ﷺ في المدينة ثم تنامت في العهد الأموي.

ثم جاء دور الرواة والمحدِّثين في تبرير إجراءات وأساليب الخلفاء وسياساتهم.

ولذا بدأت في عهد الأمويين وبسبب الإغراءات حركة تدوين سنة للنبي ﷺ منسجمة مع سياستهم وأهدافهم.

وبالنظر إلىٰ أهمية هذا الهدف فقد وضعت خطة كاملة لتنفذ بدّقة كبيرة!!

ولذا بدأت الخطوة الأولىٰ في مفاتحة واجتذاب سعيد بن المسيَّب الذي يعدّ من الشخصيَّات النادرة من بين التابعين، ولكن الفشل حالف هذه الخطوة!

إذ لم تنفع معه مختلف الإغراءات ولا الإطماع ولا مصاهرة ابن الخليفة في ثنيه عن موقفه الرافض.

وشاء القدر أن يعثر الأمويون علىٰ ضالّتهم في شخص «ابن شهاب الزُّهْري» الذي سرعان ما وقع في الفخ، فراح يروي بإسناد عن سعيد بن المسيب، وبهذا حقق الأمويون ما يصبون اليه!

وقد عرّض «ابن شهاب الزهرى» في ذلك نفسه إلىٰ الفناء بعد أن وضع تحت تصرّفهم مروياته عن سعيد بن المسيَّب التي بلغت في صحيح البخاري وحده ١٢٥٠ رواية.

والتاريخ يحتفظ أيضاً بموقف سعيد بن المسيَّب المشرّف إلىٰ جانب خيانة الزُّهْري، ولهذا أدرجنا في كتاب «تدوين الأمويين للحديث النبوي ودور ابن شهاب الزُّهري» بعض الوثائق الدامغة في هذا المضمار[١]، كما يأتي في المباحث القادمة بعض الاشارات إليه.

ومن هنا فأن البحث في تبلور الصورة المدوّنة للسنة في القرن الأول والثاني

---

١ ـ ان موقف سعيد بن المسيَّب الحازم ازاء الامويين ومهاجمته الزُّهْري يسلب الاعتبار من مرويات الأخير ويلقي بظلال الشك علىٰ حجيتها.

والثالث يحظىٰ بأهمية كبرىٰ ويعدّ مسألة حياتية، ينبغي أَن تتم في إطار ما يلي:

ـ هل كان هدف الأُمويين حفظ السنَّة النبوية؟

ـ ما هو المطلوب من الحديث والراوي من قبل الأَمويين؟

ـ من هم المحدِّثون الذين لبّوا رغبة الحكم الأَموي في توجهاته؟

ان الإِجابة الدقيقة عن هذه الاسئلة سوف تحدد الخطوط السياسية وتوجهات الحكام وطبيعة علاقتهم مع الإِسلام وأَحكامه القرآنية.

مع التأكيد أَن هذه العملية ليست بالأمر اليسير خاصّة فيما يتعلق في مواقف بعض الشخصيات والظواهر الفكرية.

ولذا فأننا لم نجد مع الأَسف دراسات وافية في هذا المسار.. فكيف لو تعدّىٰ الأَمر إلىٰ تراجم بعض الأَفراد ممن تناولهم الجرح والطعن أَو الذين وسموا بميسم «المجهول»، وتصل المشكلة ذروتها في تضارب آراء المذاهب في فرد ما من أُولئك «الرجال».

بدأَت حركة تدوين الحديث الشريف في اوقات مبكرة وربمّا قبل وفاة النبي ﷺ ولكنها تعرّفت الىٰ منع صارم وسياسة مشدّدة في زمن الخلفاء لاعتبارات كثيرة، ولم تبدأ الاّ في ظروف سياسية وأَجواء مشبوهة، وكان للأمويين الدور الأَول في تبني حركة التدوين بما يخدم مصالح النظام الأَموي واتجاهاته السياسية والفكرية وبما يحقق له الغلبة علىٰ أَهل بيت النبي ﷺ فما تمض عقود علىٰ رحيل النبي ﷺ شهد أَصحابه تغييرات جذرية آثرت حزنهم واستياءهم ولعل في هذه الروايات ما يكشف عن هذه الحقيقة المؤلمة:

حَدَّثَنا مُوسَى بْنُ إِسْماعِيلَ، قالَ: حَدَّثَنا مَهْدِيٌّ عَنْ غَيْلانَ، عَنْ أَنَسٍ قالَ: ماأَعْرِفُ شَيْئاً مِمّا كانَ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبي ﷺ.

قِيلَ: الصَّلاةُ؟

قالَ: أَلَيْسَ صَنَعْتُمْ ما صَنَعْتُمْ فِيها؟!

وروى أَيضاً بسنده عن الزُّهْري، فهو يقول:

دَخَلْتُ عَلَىٰ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ بِدِمَشْقَ وَهُوَ يَبْكِي فَقُلْتُ: مايُبْكِيكَ؟ فَقالَ:

لا أَعْرِفُ شَيْئاً مِمّا أَدْرَكْتُ إِلّا هَذِهِ الصَّلاةَ وَ هَذِهِ الْصَّلاةُ قَدْ ضُيِّعَتْ[١].

وغير ذلك مما صرح به الأئمة الأثبات في حديث السنة :

روى الذهبي في ترجمة «معاوية بن قُرَّة» ـ العالم الثبت الثقة المتوفى سنة ١١٣ هـ[٢] ـ وقال تَمّام بن نَجيح: عن معاوية بن قُرَة قال: أدركت سبعين من الصحابة، لو خرجوا فيكم اليوم، ما عرفوا شيئاً ممّا أنتم فيه.[٣]

وروى البخاري: حدّثنا عمر بن حفص قال: حدّثنا أبي قال: حدّثنا الأعمش قال: سمعت سالماً قال: سمعت أمّ الدرداء تقول: دخل عليَّ أبو الدَّرداء وهو مغضب، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف من أمة محمد ﷺ شيئاً إلّا أنهم يصلون جميعاً.[٤]

وفي كتاب الابانة: عن زيد بن ضمير الرحبي قال: سألت عبدالله بن بسر صاحب النبي ﷺ كيف حالنا من حال من كان قبلكم؟ قال: سبحان الله لو نشروا من القبور ما عرفوكم إلّا أن يجدوكم تصلون.[٥]

وعن سالم قال أبو الدرداء: لو أن رجلاً كان يعلم الإسلام وأهمه ثمّ تفقده اليوم ما عرف منه شيئاً.[٦]

وفي رواية أخرى قال: إلا الصلاة.[٧]

وأخرج أحمد أيضاً في المسند، والبغوي في شرح السنة والبوصيري في

---

١ ـ صحيح البخاري، كتاب الصلاة ١: ١٣٤، باب تضييع الصلاة، على مافي «فتح الباري ٢: ١٣، و في بعض نُسخ البخاري: «أَلَيس ضيَّعتم...»، والظاهر صحة ما في «الفتح».

٢ ـ سير أعلام النبلاء ٥: ١٥٤.

٣ ـ سير أعلام النبلاء ٥: ١٥٤.

٤ ـ صحيح البخاري كتاب الأذان باب فضل صلاة الفجر في جماعة رقم ٦٥٠، مسند أحمد ٦: ٤٤٣، ٥: ١٩٥.

٥ ـ الإبانة ٤: ٥٧٣ رقم ٧١٧.

٦ ـ المصدر السابق: ٤: ٥٧٦ رقم ٧٢٤.

٧ ـ المصدر السابق ٦: ٤٤٣.

مختصر إتحاف السادة عن أنس قال: ما أعرف فيكم اليوم شيئاً كنت أعهده على عهد رسول الله ﷺ غير قولكم: «لا إله إلا الله» قال: فقلت: يا أبا حمزة، الصلاة؟ قال: قد صليت حين تغرب الشمس، أفكانت تلك صلاة رسول الله ﷺ .. ؟(١)

وأيضاً عن أنس أنه ثال: والله ما أعرف اليوم شيئاً كنت على عهد رسول الله ﷺ قالوا: يا أبا حمزة، الصلاة؟ قال: أو ليس أحدِّثتم في الصلاة ما أحدثتم؟ (٢)

وعن ابن عباس إنه كان يتمثل بالناس بهذا البيت:

فما النّاس بالنّاس الذين عهدتم ولا الدّار بالدّار التي كنت تعرف (٣)

وهذا ميمون بن مهران التابعي الإمام الحجة، الثقة عالم الجزيرة ومفتيها، المتوفى سنة ١١٧ هـ(٤) **وهو كما قال فرات: سمعت ميموناً يقول: « لو نُشِرَ فيكم رجل من السَّلف ما عرف إلّا قِبْلَتكم »**(٥)

وهكذا نجد في الكتب والتراجم على الاعتراف بكثير من التطاولات والاسهامات على السنّة الشريفة حيث لم نجد في القصص والأساطير بمثلها أبداً!

وقد دلّت على ذلك ما وردت في روايات الحوض المشهورة، منها: ما أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد وغيرهم عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ في حديث قال:« **ألا وإنه يجاء برجال من أمتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا ربّ أصيحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِم شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِم فَلَمَا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الْرَّقِيْبَ عَلَيْهِم﴾**(٦) **فيقال: إن**

---

١ ـ مسند أحمد ٣: ٢٧٠، شرح السنّة ١٤: ٣٩٤، مختصر إتحاف السادة المهرة ٢: ٣٠٧.

٢ ـ مسند أبو داود الطيالسي: ٢٧١، مختصر الاتحاف ٢: ٣٠٧.

٣ ـ المصدر السابق: ٤: ٥٧٤ رقم ٧٢١.

٤ ـ سير أعلام النبلاء ٥: ٧١ ـ ٧٨.

٥ ـ سير أعلام النبلاء ٥: ٧٦.

٦ ـ المائدة: ١١٧.

هؤلاء لم يزالوا مرتدِّين على أعقابهم منذ فارقتهم ».[١]

وهكذا روى في الرقاق:

لَيَرِدَنَ عَلَيَّ ناسٌ مِنْ أصْحَابي الحَوض حَتى إذا عَرَفْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأقُولُ: أصْحَابِي! فَيَقُلُ: لاتَدْري مَا أحْدَثُوا بَعْدَكَ.[٢]

وكذا: **انَّهم ارتَدوا بَعْدَكَ عَلَى أدْبارِهُمْ الْقَهْقَرَى.**[٣] التي يستفاد من جميعها عدم تثبت الصحابة بعد النبي ﷺ ورجوعهم إلى القهقرى، ليس ذلك إلا أنهم بدَّلوا نعمة الله كفراً، وأحدثوا في الدين ما أحدثوا.

دور تدوين الصحاح

في العصر العباسي بدأت حركة تدوين للحديث وتنظيمها بما يوافق مصالحها واهدافها وغاياتها خاصّة في زمن المتوكل العباسي الطاغية الذي اشتهر بعدائه الشديد على أهل البيت عليهم السلام.

ويعد «صحيح البخاري» نتاجاً فكرياً لتلك الفترة من الزمن، كما لايخفى.

ومن حيث لا توجد بين العلماء صورة واضحة للبخاري وكتابه، يتوجب على المفكرين أن يبيّنوا هذه العويصة.

فأهل الحديث يمجدونه فقط، أما أَصحاب القياس والرأي فقد اكتفوا بالطعن عليه وبذكر مثالبه، بينما الشيعة ينطلقون في انتقاده من خلال تقطيعه ونقله بالمعنى وبعض

---

١ ـ صحيح البخاري كتاب التفسير باب سورة المائدة رقم ٤٦٢٥، صحيح مسلم كتاب الجنة باب ١٤ ـ ٤: ٢١٩٥، مسند أحمد ١: ٢٣٥، ٢٥٣، سنن الترمذي ٥: ٣٢١، سنن النسائي ٤: ١١٧، أنظر أطراف الحديث في البخاري كتاب الأنبياء رقم ٣٣٤٩ و ٣٤٤٧ وكتاب التفسير باب سورة الأنبياء رقم ٤٧٤٠ وكتاب الرقاق باب كيف الحشر رقم ٦٥٢٦.

٢ ـ صحيح البخارى كتاب الرقاق رقم ٦٥٨٢، و ٦٥٧٥، و ٦٥٨٣، و ٦٥٧٥، و٧٠٤٨ و٧٠٤٩، و٦٥٨٥، ودر كتاب الفتن رقم ٧٠٥١، و ٧٠٥٠، وغير ذلك.

٣ ـ صحيح البخاري كتاب الرقاق باب في الحوض رقم ٦٥٨٧.

ما يرد عليه في رجال أَسناده وغير ذلك..

ولا يمكن بطبيعة الحال أَن تكون هذه الإشكالات والمؤاخذات صورة واضحة عن البخاري، والإشكالات لا تنحصر في روايات البخاري فقط وانما يتعدىٰ ذلك إلىٰ الإفادة من اعتبار «الصحيح» مرآة انعكست فيها الاتجاهات السياسية والوقائع التاريخية، وهذه مسألة حيوية وجوهرية جديرة بالبحث، ولكي نعرف البخاري وكتابه فأنه يتوجب أَولاً الإحاطة بكل أَفكاره أَحاطة كاملة، وهذا يستلزم بالضرورة أَيضاً التوفر علىٰ جميع كتبه ومن ثم تصنيفها مع مناقشة الأَفكار التي عاصرها المؤلف.

وعلى ذلك نقول أن كتب البخاري بشكل عام تنطوي تحت هذه الاقسام:

ـ كتب فقهية.

ـ كتب رجالية.

ـ كتب كلامية.

كما ان التأمل الدقيق في كتبه العديدة يقودنا إلىٰ نتيجة محدّدة، وهي أَن البخاري يمكن حصره في اطار فرد محدّث وصاحب رواية، كغيرة ممن عاصروه أَو من لم يعاصروه.. إذ اننا نجد مهمته في محاولة منح الشرعية للخلفاء الأَمويين، وتجذير الاتجاه الفكري الجديد الذي شجع عليه المتوكل العباسي.

وهذا ما تؤكده دراستان تناولتا الأَبحاث أَعلاه وجاءت في كتابين هما: «الإمام البخاري وفقه أَهل العراق» و «الإمام البخاري وصحيحه الجامع المختصر».

ففي الدراسة الأُولىٰ فصّلنا البحث على أن كتب البخاري الفقهية جاءت كردّ على فكر الحنفي، متخذاً من «**قال بعض الناس**» كناية عن شخص أَبي حنيفة أو بذكر فتاواه.

ففي الدراسة الثانية: قد استوعبت المؤاخذات عليه وعلى كتابه الصحيح والمحاولة في مناهج الأئمة النقاد في الحديث.

وقد دعتني إلى هذه المحاولة **أولاً**: غياب منهج واضح في حديث السنة لا سيما في البخاري التي تلد منها آثاراً مخربة في أذهان العلماء ومقلديهم.

ثانياً: قلّة الدراسات حول البخاري وصحيحه التي تكاد تكون منعدمة بين

المسلمين، لأن الدّراسات الموجودة كانت بنحو الأكثر الغالب خارجة عن منهج البخاري في علوم الحديث.

وقد رتبت هذه الدراسة في عشرة فصول:

الأول: في الامام البخاري، بترجمة شاملة وفي شيوخه ومن تأثر بفكرهم.

الثاني: في صحيح البخاري، والتقسيمات على رواياته وتراجمه وما يرد عليه من حيث النسخة وانتسابها إليه، ومسقطاته وما يقال في النقل بالمعنى وآرائه الحديثية، وما يرد عليه من حيث انتماءه إليه.

الثالث: وعصره واتجاهاته الفكرية، في مباحث مشتملة ضمن كتبه وأجزاءه الخارجة من الصحيح، ككتبه الفقهية والرجالية وآرائه الكلامية، وسردت آثاره بالموجود منها والمخطوط.

الرابع: في موقف البخاري من أبي حنيفة وآرائه الفقهية وما يقابله في ذلك.

الخامس: في حركة الفكر اليهودية في المجتمع الثقافية الاسلامية والحديث الشريف.

السادس: في موقف البخاري من النواصب والخوارج.

السابع: البخاري وكتابه في الضعفاء، وما يتعلق بمبحث الضعفاء ومروياتهم، في الجرح والتعديل، وما تناولت من تخريج أحاديث أهل البدع والأهواء وموقفه من رواة المجاهيل والضعفاء الذين ضعّفهم نفس البخاري.

الثامن: في الضعفاء البخاري الذين رمي بضرب من الجرح، وسردت أساميهم دون أن أذكر جوانبهم الأخرى، وذلك للتّنبيه أولاً، على أن مجرد ذكر الجرح في اسقاط الرواية لو كان أمراً مطلوباً ـ كما يدارسونه بعض المتمجهدين ومتعصبي الجرح والتعديل عند تضعيف روايات الفضائل والمناقب لأهل البيت عليهم السلام ـ لكان البخاري وامثاله أقرب إلى الإسقاط من حيث التضعيف وكثرة الضعفاءه ولا سيما ضعفاءه الذين أورد أساميهم في ضعفاءه.

التاسع: في من انتقد في البخاري وكتبه في علوم الحديث والرجال وغيره.

العاشر: في نُسخ البخاري وأهم شروحه لضرورة ما رأيت كثيراً يسأل عنه.

وفي الختام أَدعو جميع الأَفاضل من ذوي الإهتمام، في كل المذاهب الإسلامية إلىٰ الدقة والتأمل حول البحوث المطروحة في هذا الكتاب وكتبي الأخرى حول البخاري، وإبداء آراءهم فيه، والله يهدي إلى الصواب وهو ولي التوفيق، وأسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق من فضله والتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ﴿ وَ أَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ ﴾.

قم المقدسة ـ حسين غيب غلامي الهرساوي

رمضان المبارك ١٤٢٥ هـ ق المطابق آبان ١٣٨٣ هـ ش

الفصل الأَول

الإمـام البـخاري

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردِزبه أَبو عبدالله البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ.

وقيل: بَذْدُزبَه، وهي لفظة بخارية، ومعناها: الزرّاع.(١)

«أَسلم المغيرة على يدي اليمان الجعفي والي بخارى، وكان مجوسياً».(٢)

وقال الذهبي وغيره من المؤرخين: «ولد أَبو عبدالله في شوال سنة أَربع وتسعين ومائة».

والبخاري قيل له: «الجعفي»؛ لأنَّ أَبا جدِّه أَسلم على يدي أَبي عبدالله المسندي ويمان الجعفي، فنُسب إليه لأنَّه مولاه من فوق.

قال البخاري: «.... فلما طَعَنْتُ في ست عشرة سنة، كنت قد حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفتُ كلام هؤلاء، ثم خرجت مع أُمِّي وأخي أحمد إلى مكة. فلما حَجَجْتُ رجع أَخي، وتخلّفت في طلب الحديث».(٣)

---

١ ـ سير أَعلام النبلاء ١٢: ٣٩١، تهذيب الأَسماء واللغات ١: ٦٧.

٢ ـ الجرح والتعديل ٩: ١٩١ رقم ١٠٨٦، الثقات لابن حبان ١: ١١٣، تاريخ بغداد ٢: ٤ رقم ٤٢٤، تذكرة الحفّاظ ٢: ٥٥٥، الكاشف ٣: ١٨ برقم ٤٧٩٠، العبر ٢: ١٢، تاريخ ابن الوردي: ٢٣٤٨، مرآة الجنان ٢: ١٦٧، سير أَعلام النبلاء ١٢: ٣٩١ رقم ١٧١، الوافي بالوفيات ٢: ٢٠٦، البداية والنهاية ١١: ٢٤، تهذيب التهذيب ٩: ٤٧، تقريب التهذيب ٢: ١٤٤٨، طبقات المدلّسين لابن حجر: ٢٤ رقم ٢٣، النجوم الزاهرة ١٢: ١١٣ رقم ١٥٨٦، طبقات الحفّاظ: ٢٤٨، طبقات الحنابلة ١: ٢٧١ رقم ٣٨٧.

٣ ـ تاريخ بغداد ٢: ٧، سير أَعلام النبلاء ١٢: ٣٩٣.

وقال محمد بن أَبي حاتم البخاري: «سمعت أَبا عبدالله محمد بن إسماعيل يقول: حججت ورَجَعَ أَخي بأمّي، وتخلّفتُ في طلب الحديث. فلّما طعنتُ في ثمان عشرة، جعلت أُصنِّف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وذلك أيام عبيدالله بن موسى.[١]

«وكنت أَختلف إلى الفقهاء بمرو وأَنا صَبيٌّ، فاذا جئت أَستحي أَن أُسلِّم عليهم، فقال لي مُؤدِّبٌ من أَهلها: كم كتبتَ اليوم؟

فقلت: اثنين! وأَردت بذلك حديثين.

فضحك مَن حضر المجلس!

فقال شيخ منهم: لا تضحكوا! فلعلّه يضحك منكم يوماً»!!

«وسمعته يقول: دخلت على الحميدي وأَنا ابن ثمان عشرة سنة، وبينه وبين آخَر اختلافٌ في حديث، فلمَّا بصر بي الحميدي، قال: قد جاء من يفصل بيننا، فعرضا عليَّ، فقضيتُ للحميدي على من يخالفه، ولو أَنَّ مخالفه أَصرَّ على خلافه، ثم مات على دعواه لمات كافراً».

وقال أَبو بكر الأَعين: «كتبنا عن البخاري على باب محمد بن يوسف الفريابي وما في وجهه شَعرةٌ، فقلنا: ابن كم أَنتَ؟

قال: ابن سبع عشرة سنة».[٢]

رحلاته:

قال الفربرى: سمعت محمد بن أبي حاتم وراق البخاري يقول: سمعت البخاري يقول: أُلهمتُ حفظ الحديث وأنا في الكتَّاب؛ قلت وكم أتى عليك إذ ذاك من العمر؟ فقال: عشر سنين أو أقل: ثم خرجت من الكُتَّاب فجعلت أختلف إلى الداخل وغيره، فقال يوماً فيما كان يقرأ للناس سفيان: عن أبي الزبير عن ابراهيم فقلت له: إرجع إلى

---

١ ـ تاريخ بغداد ٢: ٧، سير أَعلام النبلاء ١٢: ٤٠٠.

٢ ـ الطبقات الكبرى للسبكي ٢: ٢١٧.

الأصل إن كان عندك، فدخل فنظر فيه ثم رجع فقال: كيف هو يا غلام؟ فقلت: هو الزبير وهو ابن عدي عن ابراهيم فأخذ القلم وأصلح كتابه وقال لي صدّقت.

قال: فقال له انسان: كنت ابن كم حين رددت عليه؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة، قال: فلما طعنت في عشر حفظت كتب ابن المبارك، وعرفت كلام هؤلاء وهم أصحاب الرأي.

ثم رحل بمناسبة الحج إلى الحجاز ولأجل طلب العلم، وكان ذلك في سنة ستة عشر ومائتين، ولو رحل أول ما طلب لأدرك ما أدركه أقرانه من طبقة عالية ما أدركها، وإن كان أدرك ما قاربها، كيزيد بن هارون، وأبي داود الطيالسي وقد أدرك عبدالرزاق بن الهمام وأراد أن يرحل إليه في اليمن، وكان يمكنه ذلك فقيل له: إنه مات، فتأخر عن التوجه إلى اليمن، ثم تبين أن عبدالرزاق كان حيّاً، فصار يروي عنه بواسطة.

وقال: دخلت الشام ومصر والجزيرة مرتين، والبصرة أربع مرات وأقمت في الحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد.

وقال أبوبكر بن أبي عياش الأعين: كتبنا عن محمد بن اسماعيل وهو أمرد ـ أي صغير ـ على باب محمد بن يوسف الفريابي. ولا يخفى أن الفريابي مات سنة اثنى عشرة ومائتين وكان سنّ البخاري حينذاك ثماني عشرة سنة.(١)

وجاء في سير للذهبي: أن البخاري كان يقول: لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العراق والشام ومصر والجزيرة مرتين، وأهل البصرة أربع مرات، وأقمت بالحجاز ستة أعوام، ولم أحص كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدّثي خراسان.(٢)

وقال الخطيب في تاريخه: رحل البخاري إلى محدثي الأمصار وكتب بخراسان والجبال ومدن العراق كلها وبالحجاز والشام ومصر وورد بغداد في دفعات.

وقال الحاكم: أوّل ما ورد البخاري نيسابور سنة تسع ومائتين، ووردها في الأخير سنة خمسين ومائتين، فأقام بها خمس سنين يحدث على الدوام.

---

١ ـ تاريخ بغداد ٢: ٦، الامام البخاري وجامعه الصحيح: ١٣ و ١٤.

٢ ـ سير أعلام النبلاء ١٢: ٤٠٧.

وقال أيضاً: كان البخاري يقول أقمت في البصرة خمس سنين.

ثناء العلماء عليه:

قال الدارمي: محمد بن اسماعيل أعلمنا وأفقهنا وأغوصنا وأكثرنا طلباً.(١)

وقال أبو عبدالله الحاكم النيسابوري: هو امام أهل الحديث بلا خلاف بين أئمة النقل.(٢)

قال علي بن حجر: أخرجت خراسان ثلاثة أبازرعة الرازي بالري ومحمد بن اسماعيل البخاري ببخارى، وعبدالله بن عبد الرحمن بسمرقند، ومحمد بن اسماعيل عندي أبصرهم. وأعلمهم وأفقههم.(٣)

وقال أبو حاتم الرازي: محمد بن اسماعيل أعلم من دخل العراق.(٤)

وقال حاتم بن مالك الوراق: سمعت علماء مكة يقولون: محمد بن اسماعيل إمامنا وفقيهنا وفقيه خراسان.(٥)

وقال قتيبة بن سعيد: جالست الفقهاء والزهاد والعباد، فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن اسماعيل البخاري وهو في زمانه كعمر في الصحابة.

وعنه أيضاً قال: لو كان محمد بن اسماعيل البخاري في الصحابة لكان آية.(٦)

خُلقياته وأدبه:

من تأمّل في سيرة البخاري وشخصيته، يجد أنه قد وصف بأوصاف متضادة

---

١ ـ سير أعلام النبلاء ١٢: ٤٢٦.

٢ ـ مقدمة شرح النووي: ٣٠.

٣ ـ تاريخ بغداد ٢: ٢٨.

٤ ـ سير أعلام النبلاء ١٢: ٤٣١، تاريخ بغداد ٢: ٢٣.

٥ ـ سير أعلام النبلاء ١٢: ٤٢٥.

٦ ـ سير أعلام النبلاء ١٢: ٤٣١.

لا يتلاءم أَحدها مع الآخر، ونحن نذكر جملة من صفاته الأَخلاقية.

يقال: إنّ البخاري أَخذ الرهبانية على نفسه وجعلها مسلكاً ومذهباً، كما مدحه لذلك بعض، ويطعن فيه آخرون!

فمادحه يقول: بأنَّ الزهد في الدنيا، كان من أَوصاف المتّقين والأَولياء.

والطاعن فيه يقول: إنّ النكاح من السّنّة، فمن ترك السُّنة المؤكدة في الزواج ليس بمؤمن، بل يشتري لنفسه لعائن كثيرة!

قال الذَّهبي: «كان أَبو عبدالله اكْتَرىٰ منزلاً، فلبث فيه طويلاً، فسمعته يقول: لم أَمسح ذَكَري بالحائط، ولا بالأَرض في ذلك المنزل، فقيل له: لِمَ؟ قال: لأنَّ المنزل لغيري».(١)

وفي الرواية المذكورة ما قد ترى من شيءٍ نُكْرٍ.

وقال ورّاقه: قال لي أبو عبدالله يوماً بفرَبْر: بلغني أن نخاساً قدم بجوار فتصير معي؟ قلت: نعم؛ فصرنا إليه؛ فأخرج جواري حساناً صباحاً؛ ثم خرج من خلالهن جارية خزرية دميمة، عليها شعر، فنظر إليها ومسّ ذقنها، فقال: اشتر هذه لنا منه.

فقلت: هذه دميمة قبيحة لا تصلح، واللاتي نظرنا إليهن يمكن شرائهن بثمن هذا؛ فقال: اشتر هذه، فإني قد مسست ذقنها، ولا أحب أن أمس جارية ثم لا أشتريها؛ فاشترها بغلاء، خمسمائة درهم على ما قال أهل المعرفة، ثم لم تزل عنده حتى أخرجها معه إلى نيسابور.(٢)

وروى ابن عساكر بقوله: «حدَّثَنا أَبو المحسن عبدالرزاق بن محمد الطبسي لفظاً، قال: سمعت الشيخ الإمام أَبا محمد فضل الله بن محمد بن أَحمد، يقول: سمعت الإمام والدي أَبا الفضل، يقول: سمعت القاضي أَبا بكر الحيري، يقول: سمعت الإمام الزاهد أَبا الحسن يوسف بن أَبي ذر البخاري، يقول: مرض محمد بن إسماعيل البخاري،

---

١ ـ سير أَعلام النبلاء ١٢: ٤٤٧.

٢ ـ سير أعلام النبلاء ١٢: ٤٧٧.

فعرض ماؤه على الأَطباء، فقالوا: لو أَنَّ هذا الماء ماء بعض أَساقفة النصارى، فإنَّهم لا يأتدمون!

فصدّقهم محمد بن إسماعيل، وقال: لم ائتدم منذ أَربعين سنة، فسألوا عن علاجه؟ فقالوا: علاجه الإدام، فامتنع عن ذلك حتى أَلحّ عليه المشايخ ببخارى وأَهل العلم إلى أَن أَجابهم وأَخذ علىٰ نفسه أَن يأكل بقية عمره في كل يوم سكَّرة واحدة مع رغيف».(١)

الآثار العلمية للإمام البخاري:

لقد ترك البخاري ما يدل على تمكنه العلمي كتباً في الحديث والفقه والتاريخ على طريقة العلماء الذين كانوا من قبله أو معاصريه، كما أنه قد استفاد ممن قبله، واستفاد منه من بعده فاقتدوا به في التصنيف، وهذه أسماء كتبه المطبوعة التي كانت موجودة بأيدينا:

١ ـ الصحيح الجامع المختصر. ٢ ـ التاريخ الكبير. ٣ ـ التاريخ الأوسط. ٤ ـ خلق أفعال العباد. ٥ ـ الأدب المفرد. ٦ ـ رفع اليدين في الصلاة. ٧ ـ القراءة خلف الإمام. ٨ ـ الضعفاء الصغير. ٩ ـ الردّ على الجهمية.

وقد يقال: وأشنع ما يذكر في هذا الباب طبع كتاب باسم كتاب آخر للمصنّف نفسه، أي: يكون للمصنف كتابان فيطبع أحدهما باسم الآخر، كما درج «التاريخ الصغير» للامام البخاري وهو على التحقيق «التاريخ الأوسط».(٢)

فأما كتبه التي ذكرها العلماء وليست موجودة غير أساميها، إن بعضها كانت مشتركة في المتن ومتعددة في الأسامي، وبعض الآخر مفقودة، منها:

١ ـ الجامع الكبير. ٢ ـ المسند الكبير. ٣ ـ أسامي الصحابة الوحدان. ٤ الأشربة. ٥ ـ

---

١ ـ تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، ٥٢: ٨٠.

٢ ـ كتب حذر منها العلماء ٢: ٥٨.

الهبة. ٦ ـ المبسوط. ٧ ـ المؤتلف والمختلف أ ٨ ـ العلل. ٩ ـ الكنى (إن لم تكن المطبوعة في آخر التاريخ الكبير). ١٠ ـ الفوائد. ١١ ـ قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم (وهو كتاب التاريخ الأوسط). ١٢ ـ بر الوالدين. ١٣ ـ الضعفاء الكبير (المفقودة).[١]

وقد يظهر من جميع تآليف البخاري أنه صنّف أكثر كتبه للأغراض الخاصة التي وجهت المؤلف همته إلى دفعها، وقد ذكرنا أن في القرون الأولى ظهرت أموراً لا يحسنها المحدثون كما أنهم يسمونها البدع ويبغضونها.

الارجاء والاعتزال والتجهم والتشيع والاقبال على العمل بالرأي والقياس يعدّ من الأمور الممنوعة كما جرّد في كتبهم في الردّ على هؤلاء الطبقات.

فكتاب «الايمان» من جامعه قد ذكر فيه مذهب أهل الحديث من أن الايمان أنه قول وعمل يزيد وينقص في الرّد على أبي حنيفة وأتباعه والمرجئة، وكتاب «فضائل الصحابة» و«مناقب الأنصار» فقد ضمنها على المنحرفين عن بعض الصحابة.

وكتاب «القدر» على القدرية وكتاب «الفتن» على من يرى الخروج بالسيف على الأئمة، وأما «كتاب الأحكام» فقد ضمنه فيما يتعلق بالإمامة، وكتاب «أخبار الآحاد» وكتاب «الاعتصام» في الردّ على من لا يرى قبول أخبار الآحاد من المعتزلة وغيرهم. وفي كتاب «الاعتصام بالسنة» وكتاب «الحيل» و «باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلّف القياس» في الردّ على أهل الرأي من الأحناف، وهكذا كتبه الأخرى في الرجال والتاريخ والاعتقاد، فإنه قام كمدافع ضدّ مخالفيه كما سيأتي في مباحثنا القادمة في اتجاهاته الفكرية.

وقد يقال أن البخاري أورد في خلال كتبه الردّ على الخوارج والنواصب كما ردّ على المعتزلة والشيعة والمرجئة وأهل الرأي.[٢] ولا يصح ذلك لأنه في الكثير ينتمي إليهم كما لا يخفى للناظر في جامعه ونظراته في الرجال.

---

١ ـ أنظر فهرس مصنّفات البخاري: ٣٥، منهج الإمام البخاري: ٥٣.

٢ ـ أنظر منهج الإمام البخاري: ٥٦ ـ ٥٧.